أفكار واضحة أمام مرحلة غامضة

صلاح خلف

تدخل الثورة الفلسطينية عامها التاسع بعد حرب تشرين ، بما خلقته من معطيات ايجابية ونتائج سياسية . وقفت الثـــورة الآن أمام اختيار صعب قـــد يبدو ، للوهلة الاولى ، أنه يشكل تناقضا بين ما طرحته من استراتيجية وبين ما هو مطروح عليها في ساحة الواقع ، الامر الذي قد يشيع حيرة عند أوساط كثيرة من الجماهير الفلسطينية والعربية المؤمنة بالثورة الفلسطينية طريقا لتحرير فلسطين .

وهذه المقالة هي صياغة للافكار التي طرحتها في عـــدة ندوات جماهيرية لتصور المرحلة المقبلة ، أردت بها التأكيد على أصالة هذه الثورة والتزامها بمبادئها والتحامها بالجماهير الفلسطينية والعربية :

لعله من المفيد أن أبادر الى القول ، وبلا مقدمات ، اننا نؤمن بأن الطريق الوحيد لتحرير كامل ترابنا الوطني الفلسطيني هي طريق حرب الشعب طويلة المدى . وعندما أطلقنا الرصاصة الاولى في هذا الاتجاه عام ١٩٦٥ وابتدأنا مسيرتنا الثورية كانت هناك جيوش عربية ، وكانت هناك حدود . ومع ذلك ، فان حفنة من الرجال انطلقوا لافتتاح مرحلة جديدة من كفاح الشعب العربي الفلسطيني ، مؤمنين ، ومتجاوزين الشك الذي ثار حولهم ، بهم وببندقيتهم ، وبامكانية استمرار هذه البندقية .

ومن هنا ، فان حرب تشرين التي نشبت هذا العام لا تشكل انقلابا في مفاهيمنا الثورية ، ولا تشكل بطلانا لصحة الطريق الذي آمنا وما زلنا نؤمن بأنه الوحيد الموصل الى تحرير كامل ترابنا الفلسطيني .

لقد كان رأينا بهذه الحرب واضحا قبل اندلاعها . اننا نريدها حرب استنزاف على الاقل ، ولكن أقدار الجيوش العربية ليست في أيدينا . وليس القرار السياسي بالحرب في أيدينا أيضا . كنا الشرارة . كنا الاعلان والدعوة . ولم نكف عن القول انه لا بد من حرب طويلة .. حرب استنزاف حتى لا نقع في المأزق الذي نعيشه هذه الايام .

ولكن حرب تشرين ، بغض النظر عن النتائج العسكرية والسياسية التي أسفرت عنها حتى الآن ، قد خلقت وقائع جديدة في المنطقة لا بد من الاقرار بهـــا لتكون أرضية المناقشة حول تحديات المرحلة القادمة مرتبطة بقاعدة علمية .

اول هذه الوقائع : أن العرب قاتلوا حقا في هذه الحرب ، واستشهدوا دفاعا عن أوطانهم ، وكسروا الاسطورة القائلة ان المواطن العربي لا يريد القتال ولا يريد أن يدفع من دمه ثمنا لتحرير أرضه . لقد أثبتت حرب تشرين أن الجندي العربي يرغب في القتال ويتحرق الى القرار السياسي الذي يتيح له فرصة القتـــال واستمراره . لقد زحفت الجيوش العربية في مصر وسوريا في الاساس ، ثم لحقت بها جيوش عربية أخرى قاتلت بصمود وتضحية مؤكدة حقيقة أساسية هي أن الامة العربية لا تفتقر الى شجاعة القتال